بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

اختلف المفكرون حول نظرية المعرفة اختلافاً كبيراً وبخاصة فى ما وراء الطبيعة - أو « الغيبيات » - ونتج عن ذلك مذاهب مختلفة أبرزها ثلاثة . فمن قائل : إن طريق اكتساب المعارف هو الدين ، وقائل : إن طريق اكتسابها هو العقل ، وقائل : إن طريق اكتساب المعرفة هو الحواس أو العلم المادى الوضعى .

بَيْدَ أن الحق الذى لا مناص عنه أن لكل هذه الطرق مجالاً يعمل فيه . وأن العقل والحواس غير مؤهلين لاكتساب المعرفة فى ما وراء الطبيعة أو الغيبيات . فالوحى الأمين وأقوال الرسل هى المرجع الوحيد فى معرفة « الإيمانيات » ، وما وراء الطبيعة ، وأن الحواس مقصور دورها على اكتساب المعرفة من « المادة » ، سواء أكانت حيواناً أو نباتاً أو جماداً ، وهى التى تغذى العقل بالحقائق الجزئية المبثوثة فى المادة ، ثم يقوم العقل بدرسها وتحليلها واستخراج قوانينها وتوجيهها . وفى ما يتصل بالمادة أو العلوم العملية والرياضية فإن دائرة الاختصاص تتسع للبحث العقلى والعلمى اتساعاً هائلاً .

أما فى القضايا الإيمانية فإن موقف العقل مقصور على التلقى والتوجيه من الوحى الأمين ، ولا يصلح العقل للانفراد باكتساب المعرفة اليقينية فى هذا المجال . بل لا بد من توجيه الوحى الأمين وهدايته للعقل فيها ، وقد أدرك كثير من الدارسين الغربيين - حديثاً - هذه الحقيقة ، وكثرت تشبيهاتهم لدور العقل فيها . فمنهم مَن شبَّه العقل فى مجال ما وراء الطبيعة بالبوصلة التى تشير إلى الصواب ولكن لا توصل إليه ، ومنهم مَن شبَّه دور العقل فيها بمن يريد أن يعبر بحراً متلاطم الأمواج - لا تُرى شواطئه - بالعوم فوق حزمة من « القش » ، ومنهم مَن شبَّهه بـ « الهوام » ترى النار فتحسبها نافذة مضيئة فتريد الخروج منها فتحترق فى الحال .

والآن . . ترتفع أصوات فى كل مكان بضرورة الاعتماد على النظر العقلى فى كل شئ ، وتعتبر الحقائق الإيمانية من قبيل الخرافات ، وآخرون يبالغون فى قيمة العلم الوصفى المدرَك بالحواس الخمس ، الخاضع للتجربة والملاحظة ، ويحكمون بأن ما لا يُدرك بالحواس فهو غير موجود ، وهؤلاء هم العَلمانيون . ومن أجل هذا وضعنا هذه الرسالة لبيان أن دين الله لازم لدنيا الناس لزوم الروح للجسد حتى يكون حياً . وأوجزنا الحديث أنَّ دين الله لا بد منه لحياة الناس فى ثلاثة مجالات :

١ - العقائد .

٢ - التشريع .

٣ - الأخلاق .

وما عدا هذه المجالات الثلاث فيه متسع للنظر العقلى والبحث العلمى . ومهما كان الأمر فإن دين الله لا بد منه لنا لنكتسب المعرفة الحقة عن طريقه فى حقائق الإيمان ، وليوجهنا الوجهة الحسنة فى تفكيرنا العقلى فيما للعقل اختصاص ، وفى بحثنا العلمى فيما للحواس عمل فيه . ولولا دين الله لعاشت الإنسانية فى « تيه » وفقدان للذاكرة ، ولما عرفنا مَن نحن ؟ ولا من أين جئنا ؟ ولماذا جئنا ؟ وإلام نسير ؟ وكيف نسير ؟

﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِى بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (١) .

القاهرة - الظاهر : المحرَّم ١٤١٥ هـ (يونيو ١٩٩٤ م) .

المؤلف

عبد العظيم إبراهيم المطعنى

* * *

(١) المائدة : ١٥ - ١٦